المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
كرسي القرآن الكريم وعلومه

جامعة الملك سعود
King Saud University
كرسي القرآن الكريم وعلومه
Chair of Qur'anic Sciences

أسس
تطوير تعليم القراءات
القرآنية

بحث مقدَّم
للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية
٦/٤/١٤٣٤هـ - ١٦/٢/٢٠١٣م

إعداد
د. كوثر بنت محمد رضا الشريف

المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية
International Conference for the development of Quranic Studies

أسس
تطوير تعليم القراءات القرآنية

بحث مقدَّم

للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية

٦/٤/١٤٣٤هـ - ١٦/٢/٢٠١٣م

إعداد

د. كوثر بنت محمد رضا الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة الذاتية

الاسم: د. كوثر بنت محمد رضا الشريف

الجنسية: سعودية

العنوان: المملكة العربية السعودية- مكة المكرمة

العمل: معلمة في وزارة التربية والتعليم.

البريد الالكتروني: dr-kawthar@hotmail.com

المؤهلات العلمية:

- حفظ القرآن الكريم.
- إجازة في القراءات العشر الصغرى.
- دكتوراه تخصص الأصول الإسلامية للتربية من قسم التربية الإسلامية والمقارنة، في كلية التربية بجامعة أم القرى، بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، عام ١٤٣٠هـ.
- ماجستير من قسم التربية الإسلامية والمقارنة في كلية التربية بجامعة أم القرى، بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، عام ١٤٢٦هـ.
- بكالوريوس في العلوم والتربية تخصص رياضيات بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف، من كلية التربية للبنات بمكة، عام ١٤١٨هـ.
- دبلوم في الحاسب الآلي.
- حاصلة على عدد من الدورات التدريبية والتعليمية في المناهج والتقويم وتطوير الذات واللغة الانجليزية.

الخبرات العملية:

- معلمة رياضيات في وزارة التربية والتعليم.
- أستاذة متعاونة مع قسم القراءات، بجامعة أم القرى.
- أستاذة متعاونة مع قسم التربية الإسلامية والمقارنة، بجامعة أم القرى.
- أستاذة مادة طرق تدريس القرآن الكريم بمعهد الدراسات القرآنية في مكة المكرمة.

الإنتاج العلمي:

- التربية النقدية في القرآن الكريم (رسالة الدكتوراه).
- القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم (رسالة ماجستير).
- بحث محكم منشور (فقه التربية عند الخليفة الراشد علي بن أبي طالب – دراسة معيارية –).
- بحث محكم منشور (مبادئ النقد التربوي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية).

ملخص البحث

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد، فيهدف هذا البحث إلى استنباط أسس تطوير تعليم القراءات القرآنية والتي تقوم عليها عمليات التحديث والتجديد للعناصر التعليمية في علم القراءات، وتشتق منها؛ بقصد تحسين وتيسير العملية التعليمية وتحقيق أهدافها.

وتفيد الدارسة الجامعات والهيئات والمتخصصين في وضع معايير مرجعية، ومؤشرات علمية، مبنية على هذه الأسس؛ لتقويم عمليات تطوير تعليم القراءات، وتحديد العمليات التطويرية المقبولة والمرفوضة، ومدى قوتها وضعفها، مما يحافظ على تحقيق أعلى مستوى ممكن من جودة تعليم القراءات للأفراد والمجتمعات. كما تقدم الدراسة دافعا للباحثين في إبداع وابتكار حلول للمشكلات التعليمية في تعليم القراءات، والاستفادة من العلوم الأخرى.

وقد استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي، والمنهج الاستنباطي، لتحديد هذه الأسس.

وتتكون الدراسة من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

- **المقدمة**: وتحتوي على تمهيد وأسئلة الدراسة وأهدافها وأهميتها ومنهجها.
- **المبحث الأول**: بين مراحل تطور تعليم القراءات منذ بدء نزول القرآن الكريم إلى العصر الحالي، وقد قسمت إلى أربعة مراحل: مرحلة الوحي

والتنزيل، ومرحلة التأسيس والتأصيل، ومرحلة التدوين والتكميل، مرحلة المراجعة والتطور التقني.

- **المبحث الثاني**: حدد أهم العوامل المؤثرة في تطوير تعليم القراءات، وهي: مراعاة الحاجات التعليمية المستجدة للمتعلمين واختلاف قدراتهم، والمحافظة على وحدة صف المسلمين، ومنع حدوث خطأ في القراءة، والاستفادة من معطيات ومبتكرات العصر العلمية والتقنية والخدمية.
- **المبحث الثالث**: وضح أبرز الأسس التطويرية لتعليم القراءات، وهي: أساس تعظيم الوحيين، وأساس التيسير، وأساس الحفظ، وأساس التربية، وأساس البحث العلمي، أساس الثوابت والمتغيرات، أساس المراقبة والمراجعة.
- **الخاتمة**: واحتوت على النتائج والتوصيات والمقترحات، وأهم النتائج التي توصلت لها:

١- أثبتت الدراسة أن العملية التعليمية في القراءات، تقوم على أسس ضابطة لعمليات التطوير، فتحدد الأفكار التطويرية المقبولة، وتمنع الأفكار المخالفة من التسلل للحقل التعليمي القرآني.

٢- بينت الدراسة أن العملية التعليمية في علم القراءات تستجيب للتغير الزماني والمكاني والحاجي والتقني.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى اللهم على نبينا محمد، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فمنذ بدء نزول القرآن الكريم أقام رسولنا الأمين ﷺ، حركة تعليمية تربوية أساسها تعليم المسلم آيات القرآن الكريم، مع العمل به، والتفكر في معانيه؛ بطريقة تتميز بالتنوع والتطور. وأحاديث النبي ﷺ المرغبة في تعليم القرآن الكريم هي من أقوى الدوافع لتطوير تعليم القرآن، فروى المقرئ أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». فقال أبو عبد الرحمن: فذاك الذي أقعدني مقعدي هذا، وعلم القرآن في زمن عثمان حتى بلغ الحجاج بن يوسف[١].

لقد علم الصحابة رضوان الله عليهم أن أشرف ما تصرف فيه الأوقات، وتفنى في سبيله الساعات، هو تعلم آيات الكتاب، فبذلوا كل جهد في تعلمه وتعليمه، وما كانوا يتخلفون عن داعي التطوير - وهو سنة من سنن الحياة - ما دام أنه ييسر تعلم القرآن، فنجد أن تعليم القرآن تطور أسلوبا ومنهاجا بفضلهم؛ لحاجات ووسائل جدة في عصرهم، وكما اقتفى الصحابة أثر رسولهم ﷺ، اقتدى بهم تابعيهم ومن بعدهم، ثم سار الأواخر على نهج الأوائل، ليمثلوا وجها مشرقا للتربية الإسلامية،

(١) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في تعليم القرآن، رقم الحديث ٢٩١٢.

التي تدعو إلى توليد الأفكار والوسائل الجديدة، المسهمة في تيسير وتبسيط التعليم، مع المحافظة على أصول شرعنا العظيم.

وحين علمت بموضوع هذا المؤتمر المبارك المتميز، رغبت أن أشارك فيه ببحث يبين الأسس العلمية لتطوير تعليم القراءات القرآنية، منذ فجر الرسالة المحمدية وإلى عصرنا الحالي. فسرت أقتفي أثر التطور التاريخي لتعليم القراءات القرآنية؛ فوجدت كمًّا كبيراً من المعلومات المتناثرة والمجموعة؛ تحكي جهوداً عظيمة تشمل جميع الفئات، واستخدمت الوسائل والطرق المباحات، رغم ذلك كانت تتفاوت قوة وضعفا، وتختلف زماناً ومكاناً، لكنها محكومة بأسس تمنع خروجها عن الغاية النهائية.

فسعت الدراسة لتحديد هذه الأسس التي كانت تقوم عليها عمليات تطوير تعليم القراءات؛ لتقدم للعاملين في حقل تطوير تعليم القراءات خطوطا إرشادية، ومعايير مرجعية، تضبط عمليات التطوير، وتسهل عمليات التقويم، كما تعتبر أصلاً لمنطلقات تطويرية جديدة، وإبداعات فريدة.

أسئلة الدراسة:

سعت الدراسة للإجابة على سؤال رئيسي، هو: ما أسس تطوير تعليم القراءات القرآنية منذ عصر النبوة وإلى العصر الحالي؟. ويتفرع منه الأسئلة التالية:

١- ما مراحل تطور تعليم القراءات؟

٢- ما العوامل المؤثرة في تطور تعليم القراءات؟

٣- ما الأسس التطويرية التي يمكن استنباطها من عمليات تطوير تعليم القراءات؟

أهداف الدراسة:

الهدف الرئيسي للدراسة هو: استنباط أسس تطوير تعليم القراءات القرآنية منذ عصر النبوة وإلى العصر الحالي. ويتفرع منه الأهداف التالية:

- بيان مراحل تطور تعليم القراءات
- تحديد العوامل المؤثرة في تطور تعليم القراءات.
- استنباط الأسس التطويرية لتعليم القراءات

أهمية الدراسة:

ترى الباحثة أن أهمية الدراسة تظهر فيما يلي:

- تؤكد الدراسة على أن مسيرة العملية العلمية في الإسلام عموما، وفي تعليم القرآن الكريم خصوصا، ليست عملية ارتجالية عبثية، بل هي عملية منظمة علمية، محددة الأسس والقواعد، وذات أطر مرجعية.
- تفيد الدارسة الهيئات والمتخصصين في وضع معايير مرجعية، ومؤشرات علمية، مبنية على هذه الأسس؛ لتقويم عمليات تطوير تعليم القراءات، وتحديد العمليات التطويرية المقبولة والمرفوضة، ومدى قوتها وضعفها، مما يحافظ على تحقيق أعلى مستوى ممكن من جودة تعليم القراءات للأفراد والمجتمعات.
- تقدم الدراسة دافعا للباحثين في إبداع وابتكار حلول للمشكلات التعليمية في تعليم القراءات، والاستفادة من العلوم الأخرى؛ خدمة للقرآن الكريم، واقتداءً بسلفهم الصالح.

منهج الدراسة:

لتحديد أسس تطوير تعليم القراءات، تتبعت الباحثة مراحل تطور تعليم القراءات من خلال الرجوع للكتب المتخصصة في نشأة علم القراءات وتاريخه، واعتمدت في ذلك على المنهج الاستقرائي، ويقصد به "تصفح أمور جزئية ليحكم بحكمها على أمر يشمل تلك الجزئيات"[١]. ومما توفر للباحثة من معلومات استخرجت أسس تطوير تعليم القراءات، وذلك باستخدام المنهج الاستنباطي، ويقصد به "استخراج المعاني وإظهارها من خلال النصوص والمعاني المختلفة"[٢].

مصطلحات الدراسة:

كلما أبحر القلم في بيان المقصود بالمصطلحات، رده الصفحات المحددة، لذلك اكتفي بعرض موجز عن المعنى اللغوي، ثم التعريف الإجرائي للمصطلح في الدراسة، دون الغوص في كنوز التعريفات وفوائدها فليعذرنا القارئ الكريم:

القراءات: **لغة**: جمع قراءة، والقرآن التنزيل، فيقال قَرأ، وقراءة، وقرآنا، فهو قارئ، بمعنى تلا[٣].

---

(١) أبو حامد محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة، (د.ت)، تحقيق: حمزة حافظ، ١٦١/١.

(٢) محمد راكان الدغيمي، أساليب البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية، مكتبة الرسالة، عمان، الأردن، ١٤١٧هـ، ص ٨٤.

(٣) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الجيل، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)، مادة قرأ.

وفي الاصطلاح: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها، بعزو الناقلة"[(١)].

الأسس: في اللغة: جمع أساس، والأساس: أصل البناء، والأُسُّ، والأَسَس، والأَساس: كل مبتدأ شيء، وأَسُّه أصله، وقيل: وهو أصل كل شيء[(٢)].

وتقصد بها الدراسة "الأصل العام الذي يقوم عليه الشيء ويرتكز عليه"[(٣)].

التطوير: في اللغة: مأخوذ من مادة طور، والطور: التارة، تقول: طورا بعد طور، أي تارة بعد تارة، وجمع الطور أطوار: الحالات المختلفة والتارات[(٤)].

وتقصد بها الدراسة: عملية تحديث وإدخال تجديدات ومستحدثات على جميع عناصر العملية التعليمية، بقصد تحسين وتيسير العملية التعليمية ورفع مستواها بحيث تصبح أكثر وفاء وتحقيقا للأهداف[(٥)].

---

(١) محمد بن محمد بن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، مكتبة القدسي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ص١٣.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، مادة أسس.

(٣) محمد جميل بن علي خياط، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث إسلامي، مركز البحوث التربوية والنفسية، مطابع جامعة أم القرى، مكة، ١٤١٦هـ، ص٢٣.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة طور.

(٥) حسن شحاتة، وزينب النجار، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ص١٠٧.

وفي ضوء ما سبق، تقصد الدراسة بأسس تطوير تعليم القراءات: الأصول والدعامات التي تقوم عليها عمليات التحديث والتجديد للعناصر التعليمية في علم القراءات، وتشتق منها؛ بقصد تحسين وتيسير العملية التعليمية وتحقيق أهدافها.

خطة الدراسة:

تتكون الدراسة من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

١- المقدمة:

وتحتوي على تمهيد وأسئلة الدراسة وأهدافها وأهميتها ومنهجها ومصطلحاتها.

- المبحث الأول: مراحل تطور تعليم القراءات
- المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في تطوير تعليم القراءات
- المبحث الثالث: الأسس التطويرية لتعليم القراءات
- الخاتمة: وتحتوي على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول
مراحل تطور تعليم القراءات

عند قراءة الكتب المتخصصة في علوم القرآن والقراءات، نجد أن المتخصصين قد قسموا تطور تعليم القراءات إلى عدة مراحل، بدءا من نزول القرآن الكريم وتعليم الرسول ﷺ لأصحابه، ثم تعليم الصحابة للتابعين، مرورا بتدوين العلوم وظهور المصنفات العلمية المتخصصة، ووصولا إلى العصر الحالي. "ومن المعقول أن يقع التساؤل عن مبررات هذا التقسيم الزمني في تاريخ القراءات، لأن المفروض أنها تتضمن معطيات ومعارف استكملت صيغتها النهائية عندما تم نزول الوحي القرآني الذي لا يعتريه نقص ولا زيادة ولا تغيير. الجواب على هذا التساؤل، يتمثل في كون تطور علم القراءات، لا يتناول إلا الآليات التي أنشئت للتأكد من الحفاظ على جوهر النص في مظاهر التلقي والكتابة والأداء"(١).

وقد اختلف العلماء والباحثون في التقسيم بحسب طبيعة البحث وهدفه، وبما أن الدراسة الحالية ليست دراسة استقصائية لتاريخ القراءات، وهدف المبحث الحالي هو معرفة مسيرة تطور تعليم القراءات منذ بدء نزول الوحي إلى العصر الحالي، فقد قسمت المراحل إلى أربع مراحل، جاعلة معيارها مدى استحداث مناهج وأساليب وأماكن ووسائل جديدة

(١) محمد المختار ولد أباه، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو- ١٤٢٢هـ، ص ١٦.

في تعليم القراءات، مسجلة سمات تعليمية أخرى حدثت في تعليم القراءات، وكل ذلك بصورة مختصرة، تمهيدا لاستخلاص أسس تطوير تعليم القراءات. وفيما يلي بيان المراحل الأربع:

المرحلة الأولى: مرحلة الوحي والتنزيل (من البعثة إلى وفاة الرسول ﷺ):

بدأت هذه المرحلة من بعثة النبي ﷺ ونزول القرآن الكريم، وسبب تسمية هذه المرحلة بمرحلة الوحي والتنزيل؛ لأن فيها نزل القرآن العظيم، واكتمل نزوله بوفاة الرسول ﷺ، وانحصر العمل في المراحل التالية في جانب تطوير آليات حفظ القرآن وضبطه وتيسير تعليمه للمسلمين.

وأول عملية تعليم للقرآن تمت من جبريل عليه السلام لرسولنا محمد ﷺ، واستمرت هذه العملية التعليمية مدة ثلاث وعشرين سنة، كان الرسول ﷺ يعلم فيها أصحابه القرآن تلاوة وعملا ومعنى، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يعلم بعضهم بعضاً، بل ويتناوبون على المجلس النبوي التعليمي كما ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال «كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك... »[1].

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، كتاب العلم، باب التناوب على العلم، رقم الحديث: ٨٩.

السمات التعليمية للمرحلة:

الفئة المستهدفة:

هم من العرب، وقليل جدا من الأعاجم، والمستوى العلمي عند العرب كان الغالب عليه الأمية، وهم متفقون في القدرات اللغوية، لكن تختلف لهجاتهم وأعمارهم، لذلك طلب الرسول ﷺ الاستزادة في أحرف قراءة القرآن. فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال «لقي رسول الله ﷺ جبريل، فقال: يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط، قال: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف»(1).

المنهاج:

أول تحديد لمقرر تعليم القراءات كان لرسول الله ﷺ، فذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله كان يعالج من التنزيل شدة، وكان يحرك شفتيه، فأنزل الله ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة:١٦-١٧]، قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه،﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [القيامة: ١٨]، قال: فاستمع له وأنصت، ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [القيامة: ١٩]، ثم إن علينا أن تقرأه(2). فالمقرر التعليمي هو القرآن الكريم

---

(١) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، كتاب القراءات، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم الحديث: ٢٩٤٨.

(٢) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق،كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، رقم:٥

بأحرفه السبعة، يقرأها جبريل عليه السلام، والرسول ﷺ يستمع، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتلقونها من الرسول ﷺ ويحفظونها، وتختلف قراءاتهم؛ بحسب الحرف الذي تعلموه من رسول الله ﷺ، وكان لذلك أثر في اختلاف قراءة من بعدهم، كما سيأتي.

أساليب التعليم:

كان التعليم يقوم على التلقين، فيسمع الرسول ﷺ من معلمه جبريل عليه السلام، ثم يكرر أو يعرض ما تعلمه عليه، مع كتابة الآيات المنزلة، ولكن حفظ الرسول للآيات كان شفهيا بدون استخدام اللوح والكتابة؛ لأنه كان أميا. وكذلك الحال بالنسبة لتعليم الرسول ﷺ للصحابة، وقليل منهم من كان يكتب القرآن ولديه مصحف خاص. أما طريقة التعليم فتتميز بالتدرج، فالمقرر المحفوظ لم يكن يتجاوز الخمس أو العشر آيات، يحفظها الصحابي بتفهم وعمل.

أماكن التعليم:

كان تعليم القرآن للصحابة يتم في المسجد، وكان يسمع للمسجد ضجة؛ بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول الله ﷺ أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا[1]. وقد يتم التعليم في بعض الدور المخصصة مثل دار الأرقم، أو في المنازل، كما في تعليم خباب بن الأرت القرآن لفاطمة بنت الخطاب وزوجها في منزلهما.

---

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت)، ص١/٢٤١.

الرحلة في تعليم القرآن:

ظهر الارتحال في تعليم القرآن الكريم، فكان الرسول ﷺ يرسل بعثات القراء إلى القبائل المسلمة يعلِّمون أهلها كتاب الله، فأرسل مصعب بن عمير وابن أم مكتوم إلى أهل المدينة قبل الهجرة، وأرسل معاذ بن جبل إلى أهل مكة بعد الفتح للإقراء[١]. مع ما كان يكتنف هذه الرحلة من مخاطر، ولا ننسى ما حدث للقراء في حادثة بئر معونة، فقد قتلوا؛ لكن رغم ذلك ظلت هذه السنة في الخلفاء من بعد، فكانوا يرسلون معلمين للقرآن للأمصار المفتوحة رغم المخاطر. كما كان يعلم المهاجر الجديد القرآن، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال «كان رسول الله ﷺ يشغل فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ، دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن»[٢].

التقويم:

كان الرسول ﷺ هو من يقوم بعملية إصدار الحكم على القراءة وتعديلها، فهو يعلم الصحابة، ويعدل خطأ من أخطأ، وعندما اختلف عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم في القراءة احتكموا إلى الرسول ﷺ. وكان يصدر أحكاما على قراءة المتعلم، ومن وجده متقنا شهد له وكلفه بتعليم غيره، فمثلا قال ﷺ «استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود،

(١) المرجع السابق، ١/ ٣١٤- ٣١٥.

(٢) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ، مسند الأنصار، حديث عبادة بن الصامت، رقم الحديث: ٢٣١٤٦.

وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل»[١].

وقبل أن نغادر هذه المرحلة لابد أن نسجل أن النقاط السابقة كشفت عن عملية تعليمية منظمة، ذات سياسة وأهداف وخطط واضحة ومحددة، تتناسب مع ظروف المجتمع وحاجاته، وإن لم توجد مؤسسة أو هيئة متخصصة في التعليم بمصطلح اليوم، لكن يوجد ما هو أفضل من ذلك؛ الوحي الإلهي؛ الذي حدد سياسة التعليم وأهدافه وخطواته ومنهاجه وأساليبه؛ لذلك نجد أن الصحابة الكرام، قد نجحوا في حفظ القرآن الكريم وتبليغه من بعدهم، في منتهى الأمانة والدقة، مع الحكمة التي رباهم عليها الوحي الإلهي، والمرحلة التالية تكشف مدى النجاح الذي حققه المتعلمون، الذين أصبحوا معلمين.

المرحلة الثانية: مرحلة التأسيس والتأصيل (من وفاة الرسول إلى نهاية القرن الثاني الهجري)

هذه المرحلة من أهم المراحل - بعد المرحلة الأولى -؛ لأنها كانت مرحلة تثبيت وتقعيد وتأسيس وبناء، فقد توقف الوحي واكتمل نزول القرآن؛ بوفاة الرسول ﷺ، وبعد أن بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة استمر الصحابة في الجهاد، ونشر الإسلام في جميع الاتجاهات، وارتحلوا في الأمصار والأقطار؛ يعلمون الناس تلاوة القرآن ومعانيه وأحكامه، وكانت قضية تعليم القرآن تتصدر كل اهتماماتهم، وكان الجهد

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، رقم الحديث: ٣٧٦٠.

منصبا على ذلك، في جميع المستويات، وبكل الوسائل والطرق المباحات؛ فكثرت حلقات تعليم القرآن، وفيها الصغار والكبار، وكانوا يعدون بالآلاف(1).

وأعظم جهود الأمة في هذه المرحلة جمع القرآن الكريم في مصحف واحد في خلافة أبي بكر الصديق ﵁؛ لما قتل كثير من الصحابة في الجهاد في سبيل الله. ثم جمعه الثاني بنسخه في خلافة عثمان ﵁؛ لما اختلفوا في قراءة القرآن.

وكان تعليم القرآن بحرف أو أكثر يسير بصورة سلسة، مع إدراك مجتمعي بتنوع طرق أداء تلاوة القرآن بحسب الروايات، وكان للمتعلم وولي أمره اختيار فيمن يقرأ عليه، مع وجود مفاضلة بين المعلمين يحددها علمهم وسندهم في القراءة، وهذه المرحلة بداية ظهور التخصص في الإقراء بعدة روايات، أو برواية واحدة، لكن الملاحظ عدم اختلافهم في الأساليب والوسائل، وسعيهم لقراءة القرآن بسند متصل للرسول ﷺ. وظهرت في هذا العصر الكتاتيب كمكان مخصص لتعليم القرآن الكريم للصبيان.

ومع أن القرنين الأول والثاني الهجريين كانا عصري حفظ وليسا

---

(١) عبد الله البخاري، جهود الأمة في تحفيظ القرآن الكريم، بحث مقدم للمؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم تحت عنوان: جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، المنعقد في ١٠-١٢، جمادى الأول ١٤٣٢هـ، فاس، المغرب، ص١٧٣.

بعصور تدوين؛ فلا مانع من أن تكون هناك كتابات في علم القراءات، غير أنها ليست شاملة وجامعة[1]. وفي هذه المرحلة تأسست المدارس القرآنية، وتأصلت قواعد أئمتها، وتقررت ضوابط الرواية، وجودت أوجه الأداء، وحررت قواعد الرسم، وصيغ الشكل والضبط[2].

السمات التعليمية للمرحلة:

الفئة المستهدفة: ظهرت فئة مستهدفة جديدة وهم المسلمون الأعاجم - غير العرب-، وقد أدى هذا إلى ظهور التشكيل والنقط للمصحف، واستخدام وسيلة الكتابة بصورة أوسع في التعليم.

الحركة العلمية: تمت كتابة أو جمع المصحف في عهد أبي بكر رضي الله عنه، خوفا من ضياع شيء من القرآن؛ بسبب موت الحفظة، وضياع ما لديهم مما كتب بين يدي رسول الله ﷺ. ثم جمع عثمان رضي الله عنه ، وهدفه منع فتنة الاختلاف في قراءة القرآن الكريم، والمحافظة على القرآن من التبديل والتحريف. ثم ظهر نقط المصحف وتشكيله بسبب انتشار اللحن. كما بدأ التأليف في علم القراءات في هذه المرحلة، ومن المؤلفين في القراءات: يحيى بن يعمر (ت ٩٠هـ)، وأبان بن تغلب (ت ١٤١هـ)، وغيرهما، لكن لم يكن بقوة وكثرة التأليف في المرحلة التالية.

(١) نبيل محمد آل إسماعيل، علم القراءات نشأته- أطواره- أثره في العلوم الشرعية، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ص١٠٣.

(٢) محمد المختار ولد أباه، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، مرجع سابق، ص١٦- ١٧.

المنهاج:

في بداية المرحلة - في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما - كان المنهاج يتفق كثيرا مع المرحلة الأولى، ولما تتابعت الفتوحات واتسعت الفئة المستهدفة؛ حدد منهاج الاقراء من المصحف الذي كتبه عثمان رضي الله عنه وأرسل به إلى الأمصار، ومعه قارئ يعلم الناس قراءة هذا المصحف، وأمر بإحراق غيره من المصاحف؛ وبذلك بدأ استخدام الكتابة في التعليم، واعتمد على مصحف معين في الإقراء، وبصورة رسمية من قبل الخلافة.

أساليب التعليم:

كانت الكتاتيب والحلقات القرآنية تلتزم بالطريقة النبوية في التعليم التي سبق ذكرها، وهي التلقين من خمس إلى عشر آيات، فجاء عن أبي رجاء قال «كان أبو موسى رضي الله عنه يعلمنا القرآن خمس آيات خمس آيات»[(١)]. كما ابتكرت طرق جديدة في تنظيم عملية التعليم، يقول الدخيل"كان المعلمون من قراء الصحابة والتابعين، يقسمون تلاميذهم عشرات في المسجد، ويجعلون على كل عشرة عريفاً"[(٢)]، وفي أخبار تعليم أبي

(١) محمد بن أحمد الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دون مطبعة، تحقيق طيار آلتي قولاج، استانبول، ١٤١٦هـ، ١/١٥٣.

(٢) دخيل بن عبد الله الدخيل، إقراء القرآن الكريم منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه، الناشر مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الشاطبي، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ص٣١٤.

الدرداء ﷺ للقرآن ما يدل على ذلك، قال مسلم بن مشكم الدمشقي «قال لي أبو الدرداء ﷺ: أعدد من يقرأ عندي القرآن؟ فعددتهم ألفا وستمائة ونيفا، وكان لكل عشرة منهم مقرئ، وأبو الدرداء يكون عليهم قائما، وإذا أحكم الرجل منهم – يعني حفظ القرآن – تحول إلى أبي الدرداء»(١). وكان المتعلم يقرأ ختمة كاملة على شيخه، فإذا أراد قراءة أو رواية أخرى، قرأ ختمة جديدة على نفس الشيخ أو آخر، وهو ما يسمى بإفراد القراءة. كما ظهرت وسيلة الكتابة بصورة أقوى من المرحلة السابقة، في جمع أبي بكر أو جمع عثمان ﷺ، وأيضا في نقط المصحف، وكذلك في كتابة المتعلم لنفسه.

أماكن التعليم:

إضافة إلى التعليم في حلقات المسجد، ظهرت الكتاتيب كمكان مخصص لتعليم القرآن الكريم للصبيان، فذكرت المصادر التاريخية أن عمر بن الخطاب ﷺ أول من جمع الصبيان في المكتب، وأنه أمر عامر بن عبد الله الخزاعي أن يلازم تعليم الصبيان بعد صلاة الصبح إلى الضحى الأعلى، ثم من الظهر إلى صلاة العصر، ويسرحهم في بقية النهار، وحدد له أجرا من بيت مال المسلمين، وكان من الصبيان البليد والفهيم، فأمره أن يكتب للبليد في اللوح، ويلقن الفهيم من غير كتب(٢).

---

(١) محمد بن أحمد الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، مرجع سابق، ١/١٢٥.

(٢) عبد الله البخاري، جهود الأمة في تحفيظ القرآن الكريم، مرجع سابق، ص١٧٥.

ظهور الاختيار في القراءة:

ظهر مفهوم الاختيار في القراءة، عند صغار الصحابة، ثم التابعين، وتابعيهم، فقد كان الواحد منهم يقرأ على أكثر من صحابي وتابعي، ثم يختار الأرجح عنده، ويلتزمه، ويقرئ به، فمثلا قال نافع رحمه الله «قرأت على هؤلاء، فنظرت إلى ما اجتمع عليه اثنان منهم فأخذته، وما شذ فيه واحد تركته، حتى ألفت هذه القراءة»[(١)]. وكان للاختيار في القراءة أثر في تطور تعليم القراءات والتأليف فيها.

ظهور رحلة المتعلم في تعلم القراءات:

ففي بداية هذه المرحلة كان الخلفاء والولاة يرسلون المعلمين للأمصار؛ لتعليم المسلمين الجدد القرآن الكريم، ثم ظهرت رحلة الطالب إلى المعلم. وكان الصحابة رضوان الله عليهم، والتابعين وتابعيهم، يحرصون على صحة الاسناد وعلوه، والقراءة بشكل مباشر على الصحابي، ثم التابعي، ويرتحلون في طلب ذلك. فذكر الذهبي في ترجمة أبي عمرو البصري أنه أخذ القراءة عن أهل الحجاز وأهل البصرة، فعرض بمكة على مجاهد، وغيره، وعرض بالمدينة على أبي جعفر، وغيره، وعرض بالبصرة على يحيى بن يعمر، وغيره[(٢)].

---

(١) محمد بن أحمد الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، مرجع سابق، ١/ ٢٤٤.

(٢) المرجع السابق، ١/٢٢٥.

التقويم:

كانت عملية تعليم القرآن الكريم منظمة وخاضعة لرقابة الخلفاء والولاة في الأمصار الإسلامية، ولم تكن متروكة للجهود الفردية، وكان يترتب عليها إصدار الأحكام بما يحفظ القرآن، وييسر تعليمه للمسلمين الجدد، والأمثلة على ذلك كثيرة منها: كتب يزيد بن أبي سفيان – أحد قادة الجيوش الإسلامية التي فتحت الشام وأحد ولاتها - إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيام خلافته: «إن أهل الشام كثير، وقد احتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فقال: أعينوني بثلاثة، فخرج معاذ، وأبو الدرداء، وعبادة"[(١)]. ولا ننسى أن جمع عثمان رضي الله عنه للقرآن، كان من أسبابه ملاحظة اختلاف المتعلمين في المدينة وتخطئة بعضهم، وأيضا نصيحة حذيفة رضي الله عنه ، وهذا يدل على مراقبته للعملية التعليمية في كامل الخلافة. وكذلك الحال في نقط المصحف. كما ظهر التفضيل بين القراءات، كتفضيل مالك قراءة نافع، فقال الإمام مالك بن أنس: نافع إمام الناس في القراءة[(٢)].

وتعتبر أحداث هذه المرحلة أصلاً ومرجعاً لتطوير تعليم القراءات، وهي دليل على جواز تطوير تعليم القراءات، لأنها حدثت في القرون الخيرة الفاضلة، فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، قال عمران: لا أدري أذكر النبي

---

(١) محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية، رتبه: حسان عبد المنان، ٢٠٠٤م، ٢/٣٩١.

(٢) محمد بن أحمد الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، مرجع سابق، /٢٤٢.

ﷺ بعد قرنه قرنين أو ثلاثة... »[(١)]، فحدث في هذه المرحلة جمع القرآن الكريم، وإحداث النقط في المصحف، وتغير أساليب ومكان التعليم، وبدء التأليف، وغيره من الأمور التي ذكرت، وفي هذا دلالة على جواز استحداث سياسات وأدوات تعليمية؛ تسهل عملية الحفظ، وتحقق غاية نزول القرآن الكريم.

كما أن النظرة الفاحصة لهذه المرحلة ترينا أنها مرحلة خطيرة، فلولا أن الله قد قدر حفظ كتابه، قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩]؛ لحدث في القرآن ما حدث في الكتب السماوية السابقة من تحريف. وهذه المرحلة تظهر فضل الصحابة - الذين زكاهم النبي ﷺ - في حفظ القرآن، بما وهبهم الله من حكمة في التعامل مع الأزمات.

المرحلة الثالثة: مرحلة التدوين والتكميل (من القرن الثالث إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجري)

يرى محمد المختار أن المرحلة الثالثة من مراحل تاريخ علم القراءات القرآنية هي مرحلة (التدوين والتعليل)، وفيها اهتم علماء القراءة بجمع الروايات وتصنيفها والمقارنة بينها، وبيان مواضع الاختلاف والحجج والأدلة لمختلف القراءات. ثم يذكر بعدها المرحلة الرابعة وسماها (البيان والتحصيل) فاتسعت دائرة البحث في القراءات وامتدت رقعة نشاطها. ثم مرحلة خامسة (التثبيت والتكميل) ففيها ثبتت قراءات

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم الحديث: ٢٦٥١.

الأئمة السبع برواتها وطرقها المعروفة من عهد ابن مجاهد إلى الشاطبي، واستكملتها مصنفات ابن الجزري بزيادة ثلاثة أئمة، لم تزد رواياتهم على السبعة إلا قليلا، ثم التوسع في طرق بعض الأئمة[١].

ويلاحظ على هذه المراحل التي ذكرها محمد المختار أن منهاج التعليم أساليبه ووسائله وتقويمه متقاربة، فجميعها تعتمد على مؤلفات كتبت في عدد من القراءات، الصحيحة والشاذة، توثيقا وشرحا واختصارا ونظما؛ لذلك فقد جعلتها الدراسة الحالية مرحلة واحدة من ناحية تطور التعليم.

وفي هذه المرحلة ظهر علم القراءات القرآنية كعلم مستقل، متخصص في تعليم تلاوة القرآن الكريم بحرف أو قراءة واحدة أو أكثر، له فروعه ومسائله وطلابه، لكن لفظ العالم بالقراءات أو المتخصص فيه، يطلق على من قرأ القرآن بأكثر من قراءة. والدراسة الحالية لا تحصر دارسة تطور التعليم على تعليم المتخصص الذي يطلب أكثر من قراءة، بل تشمل تعليم من طلب تعلم رواية واحدة.

السمات التعليمية للمرحلة:

الفئة المستهدفة:

يمكن تقسيم الفئة المستهدفة إلى فئتين هما:

---

(١) محمد المختار ولد أباه، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، مرجع سابق، ص ١٧- ١٨.

الأولى: فئة العوام: وهم من المسلمين العرب والأعاجم، هذه الفئة تتعلم القرآن برواية واحدة فقط.

الثانية: فئة طلاب التخصص: فمثل سائر العلوم الإسلامية في ذلك العصر، أصبحت القراءات القرآنية علم شرعي مستقل، له مباحثه ومسائله وطرق تعلم خاصة به، وطلابه يتعلمون عدة قراءات.

الحركة العلمية:

نتيجة التطور العلمي الذي حدث في جميع العلوم الإسلامية، برز علم القراءات كعلم قرآني مستقل عن باقي العلوم القرآنية، له أهدافه ومباحثه ومسائله ومراجعه المتخصصة، وبدأ التصنيف في علم القراءات بصورة مستقلة، وأقوى من المرحلة السابقة، وظهرت فروع لعلم القراءات؛ لزيادة عملية الضبط والفهم، ولتيسير عملية التعلم وإتقانها، وكذلك لمواجهة الشبهات والتحريفات. مع ظهور مصطلحات علمية متخصصة في القراءات، مثل: القراءة، والرواية، والطريق، والجمع، والتوجيه، وغيرها.

المنهاج:

نتيجة لاتساع المجال العلمي والتأليفي لعلم القراءات؛ اتسع المنهاج لطلاب التخصص، فبعد أن كان المنهاج في المرحلة السابقة يقتصر على تعليم المتعلم رواية واحدة متفقة مع رسم المصحف، وللطالب أن يأخذ أكثر من قراءة أو رواية من نفس الشيخ أو غيره - بحسب همة الطالب - ثم يختار لنفسه قراءة مما يترجح لديه، أصبح تعليم القراءات يشمل أيضا مجموعة من الكتب والمصنفات والمنظومات العلمية المتخصصة، وهنا الطالب يتعلم أكثر من قراءة.

أما الطلاب العوام فهم يدرسون علم التجويد إضافة لقراءتهم القرآن برواية واحدة.

أساليب التعليم:

في بداية المرحلة كان أسلوب تعلم القراءات لطالب التخصص يعتمد على إفراد كل رواية بختمة واحدة - كما في المرحلة السابقة -، ثم ظهر أسلوب جمع القراءات القرآنية، الذي ابتكره علماء القراءات. وأيضا ظهرت "الاصطلاحات الإشارية في العملية التعليمية، فقد اعتمد القراء في تلقين كثير من الهيئات الأدائية الإشارة دون العبارة، مما جعل لهم في ذلك عرفاً خاصًا يعتمد الاختصار مع سرعة الإفهام"[(١)]. وأيضا استخدام أسلوب الترميز في الشعر في تعليم القراءات، كما في شعر الشاطبي في القراءات السبعة. وكذلك استخدام اللوح في تعليم الطلاب في الكتاتيب.

أماكن التعليم:

هذه المرحلة هي بداية ظهور المدارس المتخصصة في تعليم القرآن، فقد تم تأسيسها في منتصف القرن الرابع الهجري، على يد الملوك والأمراء والعلماء والموسرين، وقد أوقفوا عليها أوقافا وافرة تدر الأموال عليها، وترغب الشيوخ والطلاب في التعليم، لكن نمو مدارس القراءات

---

(١) توفيق العبقري، من جهود الأمة في خدمة القراءات القرآنية، بحث مقدم للمؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم، تحت عنوان: جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، المنعقد في ١٠-١٢، جمادى الأول ١٤٣٢هـ، فاس، المغرب، ص١٧٢.

لم يكن بقوة نمو مدارس الفقه والحديث، وما يهمنا هو أنها بداية دخول المدارس النظامية في تعليم القراءات.

الاختيار في القراءة:

ظهر الاختيار في القراءة بصورة قوية وواضحة في بداية المرحلة، ثم خفت حتى انتقل إلى إتقان القراءة أو الرواية في نهاية المرحلة، ليظهر التخصص في قراءة ورواية معينة، ولعل الرواية التالية تبين السبب "سأل رجل ابن مجاهد لم لا يختار الشيخ لنفسه حرفا يحمل عليه؟ فقال: نحن أحوج إلى أن نعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا، أحوج منا إلى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا"[(١)]. ورافق ذلك ظهور الأسانيد في القراءات، والعناية بها ودراسة الرجال وأحوالهم.

التقويم:

ظهرت معايير ضابطة لتعلم وتعليم القراءات، منها ما كان خاصا بالمعلم (آداب المقرئ)، ومنها ما كان خاصا بالمتعلم (آداب القارئ)، ومنها ما كان خاصا بالقراءة المقبولة والشاذة (شروط القراءة الصحيحة والحكم على القراءة). كما ظهرت الشهادات العلمية، وأهمها الإجازة في القراءات، وهي شهادة من الشيخ للمجاز بالأهلية في الإقراء، وفيها تزكية للقارئ على حسن أدائه وجودة قراءته، ويظهر أن بداية اطلاق مصطلح الإجازة كان متزامنا مع بداية التصنيف في القراءات أي في القرن الثالث

(١) محمد بن أحمد الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، مرجع سابق، ١/٢١٧.

الهجري[1]. وقد وضعت لها معايير وقواعد تنظم طريقة منحها، ومستوى الطالب الممنوحة له. وفي نهاية المرحلة ظهرت الجامعات والمعاهد التي تمنح درجات علمية متخصصة في القراءات.

وتظهر هذه المرحلة أن علماء الأمة قد أكملوا مسيرة حفظ القرآن الكريم؛ بحفظ القراءات والروايات التي وصلتهم عن رسول الله ﷺ، وقد اوتوا الحكمة إذ أوقفوا الاختيار في القراءة. وظهرت حكمتهم الثانية في تدوين القراءات التي تلقوها عمن سبق من التابعين وتابعيهم. ولم يتوقفوا عند حد التدوين، ولكنهم اعملوا فكرهم في استخراج شتى الفروع المفيدة في حفظ وضبط هذه القراءات، وابتكروا مع ذلك وسائل وأدوات جديدة لحفظ القراءات، كما حصل في المتون الشعرية، والإجازات العلمية.

ولكن الملاحظة التعليمية الغريبة التي حدثت في تطور تعليم القرآن في هذه المرحلة هي: بما أن هذا العلم يتناول صحة نص القرآن الكريم، فإن كل مسلم يتلقى القرآن بالتلقين العملي، فالمتوقع أن يكون من أكثر العلوم الإسلامية انتشاراً وعلماءً وطلاباً، غير أن الحقيقة خلاف هذا. فإن علم القراءات ما زال دولة بين المتخصصين، ولم ينتقل إلى جمهور المسلمين، مثل ما عرفوا الفقه والنحو والسيرة النبوية، وذوي الاختصاص في هذا العلم عادة ما يركزون جهودهم على إتقان رواية معينة، يستعملونها لاستظهار القرآن، ويتحرجون من استعراض الروايات والطرق؛ مخافة التشويش على أذهان الطلبة، والزج بهم في طرق متشعبة

(١) دخيل بن عبد الله الدخيل، إقراء القرآن الكريم منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه، مرجع سابق، ص ١٥٢- ١٥٤.

لا يستطيع الهدى فيها إلا المهرة[1]، وهذا يظهر حكمتهم الثالثة في مراعاة قدرات المتعلم واستعداداته.

المرحلة الرابعة: المراجعة والتطور التقني والخدمي (من القرن الرابع عشر إلى العصر الحالي)

بعد حصول ضعف ظاهر، وتأخر شامل، وتراجع كبير في تعليم القرآن الكريم، امتد نحو ثلاثة قرون، بدأت مع إطلالة القرن الرابع عشر تظهر تباشير الفرج، ومعالم الانشراح، وبوادر الصحوة، ومبشرات النهوض، بتطور تعليم علم القراءات[2]. وتعتبر المرحلة السابقة الأساس العلمي لهذه المرحلة، وعمل المتخصصين في المرحلة الرابعة إنما ينصب في جانب التحقيق والمراجعة والتحرير، لما كتبه العلماء في المراحل السابقة، إضافة إلى الاستفادة من التكنولوجيا والتقنية والعلوم التربوية والإدارية، وغيرها من العلوم الحديثة، في تعليم القراءات، وزيادة عملية الحفظ والضبط.

السمات التعليمية للمرحلة:

الفئة المستهدفة:

تتفق هذه المرحلة مع المرحلة السابقة في وجود فئتين مستهدفتين

(١) محمد المختار ولد أباه، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، مرجع سابق، ص١٤.

(٢) أحمد خالد شكري، جهود الأمة في قراءات القرآن الكريم، بحث مقدم للمؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم، تحت عنوان: جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، المنعقد في ١٠-١٢، جمادى الأول ١٤٣٢هـ، فاس، المغرب، ص ١٥٥.

بالتعليم، فئة العوام، وفئة طلاب التخصص، لكن طرأ تغير في مدى فئة العوام، فبعضهم يتواجد خارج ديار الإسلام، وأنشئت مراكز ومدارس لتعليمهم القرآن، وحدث ترجمة للمصحف لأجلهم.

الحركة العلمية:

تعتبر هذه مرحلة تحقيق ومراجعة للمجهودات العلمية السابقة، فكثير من جهود تعليم القراءات القرآنية السابقة كانت جهودا فردية، لم تحظ بمتابعة أو مراجعة أو تدقيق، فحصل في عدد منها ما يؤاخذ أو يصحح، وتم تدارك هذا الأمر في العصر الحديث حيث ظهرت المعاهد والجامعات التي تنظم وتضبط جهود العلم والتعليم والتأليف في علم القراءات، مما أدى إلى ترشيد كثير من هذه الجهود(١).

المنهاج:

لم يطرأ تغير على المقررات التعليمية بشكل بارز، باستثناء دخول ترجمة القرآن - لفئة العوام- في المنهاج، وقد أثارت مسألة ترجمة القرآن الكثير من الجدل بين أهل العلم.

أساليب التعليم:

أبرز سمة لهذه المرحلة هي تنوع أساليب وطرق التعليم واتساعها، لتخاطب كافة شرائح المجتمع المسلم وبلغاتهم، وعلى اختلاف حاجاتهم وقدراتهم ومستوياتهم العلمية، منوعة ما بين سمعية وبصرية

(١) المرجع السابق، ص١٥٩.

ولمسية، ومن أهم التقنيات الجديدة التي ساهمت في تقديم طرق جديدة لتعليم وحفظ القراءات:

أولاً: استخدام آلة الطابعة في نسخ المصحف الشريف، تحت إشراف مؤسسات وهيئات شرعية متخصصة. ورافقت عملية طباعة المصحف أن طبع بروايات متعددة، واستخدام خط برايل في طباعة القرآن؛ لتمكين المكفوف من القراءة، وأيضا ظهور ما يعرف بمصحف القراءات العشر، والذي يكتب بطريقة علمية دقيقة، تساعد المتعلم المتخصص في جمع القراءات العشرة، وكان لتقنيات الطباعة أثر ظاهر في تيسير عملية تعليم القراءات، مع ما أثارته من جدل بين العلماء في حكم استخدامها في نسخ المصحف.

ثانياً: الحفظ الصوتي والحفظ المرئي: فساهمت التسجيلات الصوتية والفيديو في تسجيل قراءة علماء القراءات المتخصصين، وتسجيل المتون العلمية، واستفيد منها في عملية تعليم الطالب، فهي بمثابة المرجع الصوتي والمرئي المساند للمرجع المكتوب، وأيضا لمواجهة أي خطأ أو خلل قد يقع فيه المعلم أو المتعلم، وأيضا يمكن الطالب من سماع الشروح العلمية للكتب والمؤلفات من المتخصصين في علم القراءات، إذا لم يستطع حضور مجالس العلم، أو رغب في الاستزادة.

ثالثا: استخدام الوسائل التقنية الحديثة للتعلم ونشر العلم، فظهرت القنوات الفضائية المتخصصة في تعليم القرآن، والمنتديات والمقارئ القرآنية على الانترنت، وظهرت المصاحف الالكترونية.

أماكن التعليم:

تم افتتاح كليات ومعاهد ومدارس في عدد من البلاد الإسلامية،

متخصصة في تعليم القراءات القرآنية، من أمثلة ذلك: كلية القرآن في الجامعة الإسلامية بالمدينة، وكلية القرآن الكريم بطنطا، وقسم القراءات في جامعة أم القرى، وقسم القراءات جامعة العلوم الإسلامية في الأردن، ومعهد الإمام الشاطبي بجدة، ومعهد القراءات في مصر، وغير ذلك.

الرحلة في طلب العلم:

إذا كان المعلم - غالبا - هو الذي يذهب إلى المتعلم في المرحلة الأولى، ثم أصبح المتعلم يسافر لطلب العلم من المعلم في المرحلة الثانية والثالثة، فإن المرحلة الرابعة تتميز بإضافة أسلوب جديد في طلب علم القراءات، وهو التقاء المعلم بالمتعلم كل في مكانه بل في منزله، وقراءته عليه، وهو ما يسمى بالتعليم عن بعد- سواء عن طريق التلفاز، أو الانترنت -، فلا يحتاج المعلم ولا المتعلم الرحلة في التعليم، بسبب التطور التقني. ولابد من التنبيه أن هذه المرحلة لم تلغ طريقة رحلة المعلم للطالب، فهي موجودة، مثل: ذهاب معلمي القرآن للمراكز الإسلامية في الدول غير الإسلامية؛ لتعليم المسلمين الجدد قراءة القرآن، وأيضا رحلة بعض الطلاب للالتحاق بأقسام القراءات القرآنية في الجامعات أو الكليات المتخصصة.

التقويم:

ظهرت الشهادات الجامعية العليا المتخصصة في القراءات، فالكليات والمعاهد السابقة أصبحت تمنح الملتحقين بها درجة علمية عليا - الدبلوم والبكالوريوس والماجستير والدكتوراه-، وبرغم وجود هذه الدرجات العلمية؛ فما زال علماء القراءات يعتبرون الإجازة العلمية أقوى منها.

وسبق ذكر عمليات المراجعة والتحقيق للجهود العلمية السابقة، وأيضا ما ينتج في هذه المرحلة. كما ظهرت المسابقات الدولية والمحلية في حفظ القرآن الكريم برواية واحدة وأكثر، مع وجود لجنة علمية تقوم التلاوة.

إن السمات التعليمية للمرحلة الرابعة، أظهرت علم القراءات وثيق الصلة بعصره، يتفاعل مع حاجاته المتجددة، ويستفيد من الإمكانات المتاحة في تيسير عملية التعليم، وفق أسس وضوابط تحكم عملية القبول والرفض.

وظهر فيها أن عملية تطوير تعليم القراءات كانت تسير بطريقة أفقية ورأسية، أفقية باستحداث فروع علمية جديدة، ورأسية بتطور الفرع العلمي المستحدث وزيادة مسائله ومباحثه وأدواته العلمية.

وبعد دراسة المراحل الأربعة السابقة، وذكر أبرز سماتها التعليمية، يمكننا ملاحظة أن هذه الجهود وإن اختلفت في أساليبها ومناهجها وطرقها، فإنه تؤدي إلى نفس الهدف وهو حفظ القرآن،كما أن المرحلة الأولى والثانية كان محور العمل فيها على الأصول والمبادئ العلمية للقراءات، بينما المرحلة الثالثة والرابعة كان مجال التطور في الأساليب والآليات التعليمية. كما تظهر هذه المراحل أن العمليات التطويرية - من ناحية التنوع والاتساع – تزداد كلما انتقلنا لمرحلة تالية، وكلما زاد الضعف العلمي والاختلاف اللغوي بين المتعلمين.

المبحث الثاني
العوامل المؤثرة في تطوير تعليم القراءات

لقد أظهر المبحث السابق أن عمليات التطوير لم تكن تتخلف عن حاجات المستهدفين، والمنهاج كان يسير متوافقا مع النمو العلمي والتقني لعصره، ونلمس في كل مرحلة إضافات تعليمية جديدة، تبرز نشاط علماء القراءات ومعلميه، وسعيهم نحو تيسير العملية التعليمية، مع المحافظة على الجودة والإتقان.

ولهذه العمليات التطويرية عوامل وأسباب؛ كانت تؤثر فيها وتدفع لمزيد من التطوير والتجديد، وهدف هذا المبحث هو تحديد أهم العوامل التي دفعت للتطوير في المراحل السابقة، مع ذكر بعض ما ترتب عليها من عمليات تطويرية تجديدية.

١- مراعاة الحاجات التعليمية المستجدة للمتعلمين واختلاف قدراتهم:

نعلم أن الداعي لأول عملية تطويرية في تعليم القراءات القرآنية، كان اختلاف لغات ولهجات الفئة المستهدفة، فنزل القرآن الكريم على حرف واحد؛ فطلب الرسول ﷺ الزيادة، حتى وصل إلى سبعة أحرف. فروى أبي بن كعب (أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار قال: فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته،

وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا»[(١)]. فإذا أضفنا إلى هذا اختلاف العلماء في وقت نزول الأحرف السبعة، "فاتجه بعض الباحثين إلى أن القراءات نزلت بمكة مع بداية نزول القرآن لأن معظم سور القرآن مكي وفيها من القراءات ما في السور المدنية. ويرى الآخرون - القول الثاني- أنها نزلت بالمدينة لأن سببها وهو التيسير لم تظهر الحاجة إليه إلا في المدينة حيث تعددت قبائل المسلمين"[(٢)]. فالقول الثاني يعطي دليلا قويا على أن مراعاة حاجات وقدرات الفئة المستهدفة عامل أساسي في إحداث التطوير في تعليم القرآن الكريم.

وفي المرحلة الثالثة ظهر جمع القراءات، ويعلل ذلك الجزري رحمه الله فيقول: «لم يتعرض أحد من أئمة القراءة في تواليفهم لباب إفراد القراءات وجمعها، والسبب الموجب لعدم تعرض المتقدمين إليه هو عظم هممهم، وكثرة حرصهم، ومبالغتهم في الإكثار من هذا العلم، واستيعاب رواياته. وهذا الذي كان عليه الصدر الأول ومن بعدهم إلى

(١) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، رقم الحديث: ٨٢١.

(٢) السيد رزق الطويل، في علوم القراءات مدخل دراسة وتحقيق، المكتبة الفيصلية، مكة، ١٤٠٥هـ، ص٣٣.

أثناء المائة الخامسة، فظهر جمع القراءات في الختمة الواحدة، وإنما دعاهم إلى ذلك فتور الهمم»[1]. إذن، سبب ابتكار أسلوب جمع القراءات هو مراعاة ضعف همة المتعلمين.

مما سبق نستنتج أنه ينبغي على القائم على العملية التطويرية مراعاة عامل الحاجات التعليمية للمتعلمين وقدراتهم، فيتجاوب معها، ويستحدث حلول تتناسب مع المرحلة الزمنية والوسائل الجديدة.

٢- المحافظة على وحدة صف المسلمين ومنع اختلافهم في القرآن:

من العوامل التي أثرت بشكل كبير على عملية التطوير في المرحلة الثانية هي منع اختلاف المتعلمين وتوحيد صفوفهم، فسبب جمع عثمان رضي الله عنه للمصحف وإرساله للأمصار؛ منع هذه الفتنة.

فروى البخاري في صحيحه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان رضي الله عنهما «يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى»[2]. كما حدث الاختلاف في داخل المدينة، فعن أيوب عن أبي قلابة قال «لما كان في خلافة عثمان، جعل المعلم يعلم قراءة الرجل،

(١) محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، راجعه: علي الضباع، (د.ت)، ٢/١٩٤- ١٩٥.

(٢) محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم الحديث: ٤٩٨٧.

والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، قال أيوب: فلا أعلمه إلا قال: حتى كفر بعضهم بعضاً. فبلغ ذلك عثمان، فقام خطيباً، فقال: أنتم عندي تختلفون وتلحنون، فمن نأى عني من أهل الأمصار أشد اختلافاً، وأشد لحناً، اجتمعوا يا أصحاب محمد، فاكتبوا للناس إماماً»[1].

كما يلاحظ أثر هذا العامل في توقف الاختيار في القراءة، والاكتفاء بحفظ وضبط القراءات المختارة، فألف ابن مجاهد كتابه السبعة وعلل سبب التأليف بقوله «نحن أحوج إلى أن نعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا، أحوج منا إلى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا»[2]. وهي كلمة تنطوي على عمق فهم وسعة نظر، فعمله لا يعدو أن يكون اقتداء بعثمان رضي الله عنه، وتفهما لحكمته، فالاستمرار على هذا الاختيار قد يؤدي إلى استغلاله من قبل أهل البدع والهوى، وأيضا ستتكاثر الاختيارات والروايات والطرق؛ مما يصعب معه الضبط والتحقق والحفظ[3].

إن هذا العامل معني بالمحافظة على وحدة صف المسلمين، ومنع اختلاف كلمتهم، خاصة في القرآن، لذلك على العاملين في التعليم أن يحرصوا على توحيد الجهود والصفوف في خدمة القرآن وتعليمه.

---

(١) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، (د.ت)، ١/ ٢٧.

(٢) محمد بن أحمد الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، مرجع سابق، ١/ ٢١٧.

(٣) توفيق العبقري، من جهود الأمة في خدمة القراءات القرآنية، مرجع سابق، ص١٤٢.

٣- منع حدوث خطأ في القراءة بسبب اللحن أو الغلط أو التحريف:

ومن العوامل التي كان لها أثر بالغ في تطوير تعليم القراءات؛ علاج ظاهرة اللحن، بشقيه الجلي والخفي، فكان سبب ظهور نقط المصحف، وتشكليه، وظهور علم التجويد، ومخارج الحروف وصفاتها، وابتكار وسائل للتدريب على النطق الصحيح؛ معالجة ضعف المعرفة باللغة العربية وقواعدها. وكان تأليف الكتب؛ بغرض توثيق الروايات وطرقها، ومنع وقوع الخطأ والتلفيق عند التحمل والأداء.

فحدث في المرحلة الثانية وضع النقط للمصحف، وكان الداعي له هو ظهور اللحن مع دخول الأعاجم في الإسلام، فذكر العلماء أن أبا الأسود هو أول من وضع النقط للمصحف؛ بسبب سماعه لخطئ لغوي من قارئ، وذكر في ذلك عدة روايات منها: "بعث زياد إلى أبي الأسود، فقال: يا أبا الأسود إن هذه الحمراء قد كثرت، وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله، فأبى ذلك أبو الأسود، وكره إجابة زياد إلى ما سأل، فوجه زياد رجلاً، فقال له: اقعد في طريق أبي الأسود، فإذا مر بك فاقرأ شيئا من القرآن، وتعمد اللحن فيه. ففعل ذلك، فلما مر به أبو الأسود رفع الرجل صوته فقال: (إن الله بريء من المشركين ورسوله) - بكسر: ورسولِه-، فاستعظم ذلك أبو الأسود، وقال: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله. ثم رجع من فوره إلى زياد، فقال: يا هذا، قد أجبتك إلى ما سألت، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن فابعث إلي ثلاثين رجلاً، فأحضرهم زياد. فاختار منهم أبو الأسود عشرة، ثم لم يزل يختار منهم، حتى اختار رجلاً من عبد القيس، فقال: خذ المصحف وصِبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتي فانقط

واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين"(١).

كما كان سبب إقبال الأئمة على جمع قراءات العلماء المعتبرين، وإيقاف الاختيار في القراءات؛ منع تحريف القرآن الكريم، قال ابن الجزري: "ثم كثر الاختلاف فيما يحتمله الرسم، وقرأ أهل البدع والأهواء بما لا يحل لأحد من المسلمين تلاوته؛ فوضعوه من عند أنفسهم وفاقا لبدعهم، كمن قال من المعتزلة ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٤]، بنصب الهاء. ومن الرافضة ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾ [الكهف: ٥١]، بفتح اللام، يعنون: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. فلما وقع ذلك؛ رأى المسلمون أن يجمعوا على قراءات أئمة ثقات، تجردوا للقيام بالقرآن العظيم"(٢).

وكثير من الفروع والمباحث العلمية التي ظهرت في المرحلة الثالثة، كانت من أجل منع وقوع الخطأ، وتسهيل المراجعة، وزيادة قوة الضبط. فظهر علم التحريرات، الذي يعتني بدراسة صحة وجوه القراءات القرآنية، وتجنب الخلط والتركيب والتلفيق فيها. وظهر علم التجويد، الذي يعتني بإعطاء الحرف حقه من الصفات اللازمة، ومستحقها من الأحكام الناشئة

(١) أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، المحكم في نقط المصحف، تحقيق عزة حسن، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ، الطبعة الثانية، ص٣-٤.

(٢) محمد بن محمد بن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، مرجع سابق، ص ٢٨-٢٩.

عن تلك الصفات، وغير ذلك من مباحث علمية؛ لضبط عملية التحمل والأداء، ومنع حدوث خطأ، أو تلفيق في القراءات.

وفي المرحلة الرابعة استخدمت المعامل الصوتية؛ لتدريب المتعلم على النطق الصحيح للحروف، كما ساعد التسجيل الصوتي والمرئي والانترنت على الوصول لأكبر عدد راغب في تعلم قراءة القرآن، والتقليل من اللحن الجلي.

٤- الاستفادة من معطيات ومبتكرات العصر العلمية والتقنية والخدمية:

ومن عوامل تطوير تعليم القراءات، الاستفادة من الإمكانات الموجودة، والأفكار المفيدة. فكثير من الأمور التعليمية المرتبطة بمنهاج التعلم ومكانه وأسلوبه ووسائله، كانت نتاج استثمار الإمكانات المتاحة؛ لتيسير التعليم، وزيادة الإتقان والحفظ.

فمثلا الأصل في فكرة الإجازات العلمية ومصطلحها هم أهل الحديث، فاستفاد علماء القراءات من هذه الفكرة، وظهرت الإجازة في علم القراءات، "وجعلت الإجازة كالشهادة من الشيخ للمجاز بالأهلية في الإقراء، وفي هذا تزكية للقارئ على حسن أدائه وجودة قراءته"(١).

ومع ظهور المدارس كأماكن جديدة للتعليم النظامي، ظهرت المدارس المتخصصة في تعليم القرآن، حيث تأسست هذه المدارس في

(١) دخيل بن عبد الله الدخيل، إقراء القرآن الكريم منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه، مرجع سابق، ص١٢.

منتصف القرن الرابع الهجري، على يد الأمراء والعلماء والموسرين، وقد أوقفوا عليها أوقافا تدر عليها الأموال.

ويظهر هذا العامل بصورة قوية في العصر الحالي، فالثورة العلمية والتكنولوجية، تحفز المهتمين بتطوير تعليم القراءات على استثمارها في تسهيل عملية تعليم القراءات، وزيادة قوة الحفظ، وتيسير عملية التحمل والأداء. ومن أمثلة استثمار هذه الثورة التقنية: طباعة المصحف، وظهور التسجيلات الصوتية والمرئية، واستخدام الشبكة العنكبوتية في المقرأة الالكترونية، وغير ذلك من أمور.

واستفيد من الأفكار التنظيمية والتطوعية في تطوير عملية تعليم القراءات، وقدمت تعزيزاً ودافعاً ساهم في زيادة عدد المستهدفين والرقي بالخدمات التعليمية المقدمة لهم، وظهرت في إنشاء جمعيات خيرية لتحفيظ القرآن، التي تقدم خدماتها التعليمية بصورة منظمة ومقننة ومجانية، وعلى نطاق واسع. كما استفيد من فكرة المؤتمرات والندوات العلمية؛ في تنظيم مؤتمرات وندوات حول تعليم القرآن الكريم، لتنشيط العمليات البحثية ولتبادل الخبرات والمعارف بين العلماء والباحثين في مجال تعليم القرآن.

وإن كان هناك عوامل وأسباب تدفع وتدعو إلى التغيير والتطوير؛ فهناك أسس تتحكم في كيفية وطريقة الاستجابة للعوامل، وهذا ما يوضحه المبحث التالي.

المبحث الثالث
الأسس التطويرية لتعليم القراءات

المتأمل في الجهود التطويرية لتعليم القراءات القرآنية، يرى أنها كانت تلتزم بمجموعة من الأسس الموجهة والضابطة. ويمكن من خلالها تفسير قبول علماء القراءات بعض الأفكار التطويرية، ورفض أخرى، أو اختلافهم فيها. ولنأخذ أول عملية تعليمية تطويرية حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ، ألا وهي جمع القرآن الكريم، فقد تردد الصحابة في جمع القرآن في بداية الأمر، ثم تم الجمع، وهذه ليست أحكاماً ارتجالية، بل لابد أنها مبنية على أسس تحكم وتوجه عمليات التطوير. والمبحث الحالي سعى لاستنباط الأسس التي تقوم عليها عمليات التطوير، وتشتق منها، والمتحكمة في القبول والرفض، والمعتمد عليها في تحديد معايير التطوير وأدواته؛ لتكون مناسبة لغاية نزول القرآن الكريم، ولهدي النبي ﷺ، ولتمنع انحرافها عن مسارها الصحيح. وفيما يلي تستعرض الدراسة أبرز هذه الأسس:

١- أساس تعظيم القرآن الكريم والسنة النبوية (الوحيين):

هذا الأساس هو أس الأسس، وأهمها وأولاها بالمراعاة والعناية، لأن تعظيم كلام الله وسنة رسوله ﷺ هو تعظيم لله، قال ﷻ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر:٨٧]، وقال تعالى ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [الفتح: ٩]، قال الطبري: "التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنصرة والمعونة،

ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال... فأما التوقير: فهو التعظيم والإجلال والتفخيم"[1].

ومن تعظيم القرآن الكريم والسنة النبوية: العمل بها والاقتداء برسول الله ﷺ، قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٢١﴾ [البقرة: ١٢١]، قال عبد الله بن مسعود: "والذي نفسي بيده، إن حق تلاوته أن يُحل حلاله، ويُحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله"[2]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: «سمعت رسول الله يقول (يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[3]. فهذه النصوص وغيرها تأمر بتعظيم القرآن والسنة النبوية.

وقد كان هذا الأساس حاضرا في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم، عندما كانوا يقومون بأي عملية تطويرية، فرد أبو بكر وزيد على فكرة عمر رضي الله عنه في جمع القرآن بقولهما «كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله...» [4]،

(١) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ٢٦/٧٥.
(٢) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ١/٥١٩.
(٣) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب فضائل القرآن، باب أثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به، رقم الحديث: ٥٠٥٨.
(٤) المرجع السابق، كتاب تفسير القرآن، باب قوله (لقد جاءكم رسول من أنفسكم ...)، رقم الحديث: ٤٦٧٩.

"فتردد أبو بكر أول الأمر لأنه كان وقافا عند حدود ما كان الرسول ﷺ، يخاف أن يجره التجديد إلى التبديل، أو يسوقه الإنشاء والاختراع إلى الوقوع في مهاوي الخروج والابتداع"[(١)]، وكذلك هيبة التابعين رحمهم الله من عمليات نقط المصحف؛ تعظيما للنص القرآني، وعدم استعجالهم في الموافقة؛ دليل واضح على تعظيم القرآن والرسول ﷺ، ولا ننسى ما فعله سلفنا الصالح من وضع آداب للقارئ والمقرئ، تكسبهما تعظيم القرآن الكريم.

ومن مظاهر تطبيق هذا الأساس في المرحلة الرابعة، رفض بعض العلماء نسخ المصحف باستخدام آلة الطابعة؛ تعظيما للقرآن الكريم، ثم أجازوا ذلك. لذلك ينبغي عدم الاستعجال في قبول أي عملية تطويرية قبل التأكد من محافظتها على تعظيم القرآن والسنة النبوية.

في ضوء ما سبق، يجب أن تعرض الفكرة التطويرية التعليمية على أساس التعظيم، فإن كانت تخالفه أو تؤدي إلى تقليل تعظيم القرآن الكريم في نفس المتعلم؛ فترفض.كما ينبغي دعم الأفكار التطويرية التي تسهم في تعظيم القرآن الكريم في نفوس الناشئة.

إن مراعاة هذا الأساس أسهم في أمور منها:

- المحافظة على تعظيم القرآن الكريم في نفس المتعلم.
- المحافظة على تعظيم السنة النبوية في نفس المتعلم.

---

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ١/ ٢٤٩.

- الاقتداء بالصحابة الكرام والسلف الصالح في أعمالهم في خدمة القرآن والعمل به
- مراعاة غاية نزول القرآن الكريم وهو تلاوته والعمل به
- التأدب بآداب التعامل مع القرآن، وقد وضع العلماء آدابا للمقرئ، وآدابا للقارئ.
- الصدق والإخلاص في خدمة القرآن، ولا يتخذ تطوير التعليم غرضا للتكسب والتربح.

٢- أساس التيسير:

يعتبر هذا الأساس هو المحرك المحوري لعملية تطوير تعليم القراءات، فالجهود التطويرية ينبغي أن يحصل منها تيسير لتعليم القرآن الكريم، وليس العكس، عملا بقول الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر:١٧]، قال الضحاك عن ابن عباس: "لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله ﷻ"(١). وحديث نزول القرآن على سبعة أحرف، يعتبر نصا صريحا على أن هذا الأساس مرجعا لعمليات التطوير.

وعليه؛ فأي فكرة تطويرية تعليمية تسعى لتسهيل تعليم القراءات؛ فينبغي أن تدعم. وهنا تجدر الإشارة إلى أن أساس التيسير هو أوسع

(١) إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الخير، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ٤/٢٧٩.

الأسس مجالاً، فمثلاً: قد يدعم الفكرة التطويرية أساس التيسير، لكن يرفضها أساس الحفظ، كما حصل في كتابة المصحف بأحرف اللغة اللاتينية، فينبغي عدم إغفال الرجوع لباقي الأسس عند الحكم على الفكرة التطويرية، أو توجيهها.

وينبغي للقائمين على تعليم القراءات أن يقوموا بعمل دراسات ميدانية، تستكشف مشكلات تعليم القراءات، ثم يشجعوا الأفكار التعليمية الهادفة لتيسير تعليم القراءات، ومعالجة هذه المشكلات. ومن نماذج هذه الأفكار التيسيرية التي قدمت في المرحلة الرابعة: استخدام خط برايل في كتابة المصحف للمكفوفين. وأيضا "خدمة المقارئ الالكترونية: وهي خدمة متقدمة في تعليم القرآن الكريم عبر الشبكة العنكبوتية، وتمثل استثمار ايجابيا لهذه التقنية من خلال التعليم عن بعد عبر غرف (الشات، البالتوك) أو برامج المحادثة المختلفة (الماسنجر، سكايبي) وغيره"[1].

إن مراعاة هذا الأساس أسهم في أمور منها:

- مراعاة قدرات واستعدادات كافة أفراد المجتمع المسلم وتيسير عملية تعليمهم القرآن الكريم

(١) علي عمر با دحدح، نحو مشروع عالمي جامع لخدمة القرآن الكريم، بحث مقدم للمؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم، تحت عنوان: جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، المنعقد في ١٠-١٢، جمادى الأول ١٤٣٢هـ، فاس، المغرب، ص ٢٦٠.

- تلبية الحاجات التعليمية المتجددة والمتغيرة من زمان ومكان لآخر، بأيسر الطرق وأنفعها.
- معالجة المشكلات التعليمية التي تمس المجتمع أو جماعة منه، وتعوق تعليمهم القرآن.
- تحقيق مصلحة تيسيرية اقتصادية، بتقليل تكلفة التعليم وترشيدها.

٣- أساس الحفظ:

من الأسس التي يعتمد عليها في ضبط العمليات التطويرية أساس الحفظ، ويعني أن تسهم العملية التطويرية في حفظ نص القرآن الكريم ورسمه ولفظه. قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]، قال القرطبي في تفسير (لحافظون): «من أن يزاد فيه أو ينقص منه، قال قتادة وثابت البناني: حفظه الله من أن تزيد فيه الشياطين باطلاً أو تنقص منه حقًّا، فتولى سبحانه حفظه فلم يزل محفوظاً»[١]، فأساس الحفظ هو العمل بهذه الآية الكريمة.

وعند دراسة مراحل تطور حفظ القرآن الكريم، يلاحظ أن عملية الحفظ حدثت بثلاث طرق، أولا: حفظه في الصدور باستظهاره، وبدأت في عهد الرسول ﷺ، وهي الطريقة الأساسية لحفظ القرآن، وباقي طرق الحفظ هي مساندة لهذه الطريقة. ثانيا: حفظه في السطور، وبدأت بجمعه

(١) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٠/٥.

في خلافة أبي بكر، ثم في خلافة عثمان رضي الله عنهما. وفي العصر الحالي ظهرت عملية حفظه الصوتي وحفظه المرئي، باستخدام التسجيلات والأفلام، وهي الطريقة الثالثة.

ولقد وضع علماء القراءات علمي الضبط والتجويد؛ للمحافظة على أداء لفظ القرآن الكريم كما نزل. وعلم رسم القرآن؛ للمحافظة على أداء كتابته، وهذا من توفيق الله لهم.

وكثير من العمليات التعليمية التطويرية في علم القراءات، كانت ترجع إلى أساس حفظ القرآن، وأكبر مثال على ذلك إشارة عمر رضي الله عنه على الخليفة أبي بكر بجمع القرآن؛ خوفاً من ضياعه بسبب موت الحفظة - الذين يحفظونه في الصدور - وضياع ما لديهم من الصحف المكتوبة، واعتمد على أساس الحفظ في قبول هذه الفكرة التطويرية.

وقبلت فكرة نقط المصحف في المرحلة الثانية؛ لاسهامها في تحقيق أساس الضبط. وقد سبق ذكر قصة أبي الأسود الدؤلي. ثم قام الخليل الفراهيدي بتغيير شكل نقط الأعراب؛ ليتميز عن نقط الإعجام. كما ظهرت فكرة تصنيف كتب تتحدث عن الأحكام التجويدية.

ومن الأفكار التطويرية في المرحلة الثالثة، التي دعمت بسبب أساس الحفظ، العناية بالأسانيد في القراءات والروايات، وتحديد القراءات الشاذة، وتدوين القراءات، واستخدام الشعر في حفظ القراءات.

وهذا الأساس يحكم الاستفادة من الأفكار التي قد لا يقصد بها ذات علم القراءات، ولكن يمكن الاستفادة منها في هذا العلم، وظهرت هذه الاستفادة بشكل كبير في المرحلة الرابعة، مثل: استخدام معامل اللغة في

إتقان المخارج والصفات، وكما حصل بابتكار أجهزة متخصصة في تحفيظ القرآن ومراجعة الحفظ.

وقد ترفض الأفكار التطويرية بسبب هذا الأساس، كفكرة كتابة المصحف بالحروف اللاتينية؛ لأن بعض الحروف العربية ليس لها مقابل في اللاتينية، وهذا يؤدي إلى تغيير في أداء اللفظ القرآني. ومن هنا ينبغي عرض أي فكرة تطويرية تعليمية على أساس الحفظ، فإن كانت تؤدي إلى ضعف الحفظ، فترفض.

إن العمل وفق هذا الأساس أسهم في أمور منها:

- إتقان حفظ القرآن الكريم في الصدور
- ابتكار طرق وأساليب ووسائل وأدوات جديدة لحفظ القراءات وجودة أدائها
- مساعدة المتعلم على البعد عن اللحن الجلي والخفي.
- تقديم حلول لمساعدة غير العرب على النطق الصحيح بالقرآن
- تحديد القراءات والروايات الصحيحة، والتميز بينها وبين الشاذ.
- دراسة الطرق والأسانيد ومعرفة الرجال.

٤- أساس التربية

علم التربية في الإسلام علم يهدف إلى إكساب المتربي الاعتقادات والمعارف والسلوكيات والمهارات، المتوافقة مع فطرة الإنسان، والمحققة للغاية من خلقه - وهي عبادة الله-. ويسعى لتحديث مناهج وبرامج التعليم بما يتفق مع التطور العلمي، وحاجات المرحلة الزمنية والمكانية.

ويدعو علم التربية إلى مراعاة قدرات واستعدادات وميول المتربي؛ لذلك يحث على استخدام الأساليب والوسائل المباحة، المتنوعة والمتطورة، لمخاطبة المتعلمين، وتحقيق الأهداف التربوية.

والدارس لتاريخ التربية في الإسلام يجد أنه كان يتطور بتطور ظروف المجتمع، ففي المرحلة الثانية كان التعليم في زمن الخلفاء الراشدين يهدف إلى دراسة القرآن والعمل بما جاء به، وممن عكس هذا المفهوم الخليفة عمر ﵁ ، عندما نهى عن كتابة الحديث، والخليفة عثمان ﵁ ، عندما جمع القرآن وأرسل نسخ منه إلى الأمصار، وإذا نظرنا إلى العلماء نجدهم يركزون صراحة على دراسة القرآن وفهمه. وفي زمن معاوية ﵁ يتضمن المنهاج الاهتمام باللغة؛ بسبب ظهور اللحن، والخوف من امتداده إلى القرآن الكريم. وفي هذه المرحلة يلاحظ أن مفهوم التربية جاء متطابقا مع الأصول التي وردت في القرآن والسنة، وأن ميادين المنهاج والأساليب ومراحل التربية، تمت بالقدر الذي يستدعيه تطور المجتمع الإسلامي آنذاك ويلبي حاجاته[1].

وعلى مراعاة الأساس التربوي - عند تطوير التعليم عموما وتعليم القرآن خصوصا-؛ سارت باقي المراحل في التاريخ الإسلامي. فلاحظنا أنه بتغير الفئة المستهدفة - في القدرات والاستعدادت والحاجات-؛ تتغير أساليب التعليم ووسائله، وكذلك بتطور المباحث العلمية في علم القراءات يتغير المنهاج.

(١) ماجد عرسان الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، دار ابن كثير، دمشق، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، ص٧٠-٧٢.

وكان علماء القراءات يتدرجون في تعليم الطالب؛ مراعاة لقدراته. فيكون بداية أمره حافظا للقرآن كاملا بأحد الروايات، ثم يقرأه بثلاث قراءات، ثم ينتقل إلى القراءات السبعة من طريق الشاطبية، ثم ينتقل إلى القراءات الثلاثة المتممة من طريق الدرة؛ فيكون أتم العشرة الصغرى، ثم ينتقل إلى الكبرى، مع ملاحظة اختلاف العلماء في طريقة التدرج؛ بحسب اختلاف قدرات الطلاب.

من أمثلة الأفكار التطويرية التي دعمها أساس التربية: فكرة الكتاتيب القرآنية، وهي تحديد لمكان تعليم أبناء المسلمين القرآن، وأيضاً الاستفادة من فكرة المدارس والتعليم عن بعد في تعليم القراءات. وقد سبق ذكر أن طريقة جمع القراءات - وهي فكرة تطويرية -، لم تظهر إلا بعد فتور الهمم وضعف الطلاب.

وفي ضوء ما سبق؛ ينبغي عرض أي فكرة تطويرية تعليمية على أساس التربية، فيقبل منها ما كان متفق مع أصولها وقواعدها، وترفض ما خالف ذلك أو يعدل.

- إن العمل وفق هذا الأساس أسهم في أمور منها:
- مراعاة قدرات واستعدادات المتعلم في مراحله العمرية المختلفة.
- معالجة المشكلات التعليمية المتجددة التي تحدث نتيجة تغير الأشخاص والزمان والمكان.
- استنباط طرق وأساليب تعليمية جديدة تيسر عملية التعليم مع المحافظة على جودة الأداء والإتقان.
- تطوير المقررات التعليمية في كليات ومعاهد تعليم القراءات بما يتفق مع التطور العلمي للمناهج.

- تطوير العملية التعليمية وفق أسس علمية والاستفادة من علم التربية وعلم النفس في ذلك.
- ترغيب الناشئة في حفظ القراءات بما يقدم لهم من تعزيز مناسب لحاجاتهم وقدراتهم.
- التدرج في تعليم القراءات، لزيادة الضبط والفهم، والعمل بالقرآن الكريم.

٥- أساس البحث العلمي

يقصد بالبحث العلمي: هو عرض مفصل أو دراسة متعمقة، تمثل كشفا لحقيقة جديدة، أو التأكيد على حقيقة قديمة مبحوثة، وإضافة شيء جديد لها، أو حل لمشكلة كان قد تعهد شخص بتقصيها وكشفها وحلها، ويفترض أن يشتمل هذا العرض أو الدراسة على جميع المراحل الأساسية التي يمر بها البحث العلمي، ابتداء من تحديد المشكلة، أو طرح الفكرة، إلى دعم جميع البيانات والمعلومات الواردة في العرض، بحجج وأدلة وبراهين ومصادر كافية ووافية بالغرض[١].

وتعتبر المرحلة الثانية هي بداية ظهور البحث العلمي بمفهومه العلمي في علم القراءات، وكان بغرض حل مشكلة اللحن، الذي بدأ يتفشى مع دخول غير العرب في الإسلام، ثم تم تدوين القراءات والروايات، ثم أخذت الفروع البحثية العلمية للقراءات تظهر تباعا، وكان لها أثر في اتساع المنهاج.

---

(١) عامر إبراهيم قنديلجي، البحث العلمي دليل الطالب في الكتابة والمكتبة والبحث، مطبعة عصام، بغداد، ١٩٧٩م، ص١٥.

ومن أمثلة الأفكار التطويرية التي ظهرت في المرحلة الرابعة، ودعمها أساس البحث العلمي: تحقيق الكتب القديمة وإعادة نشرها، وإنشاء كليات ومعاهد ومواقع الالكترونية متخصصة في تعليم القراءات والبحث في مجاله، وتكوين هيئات وكراسي متخصصة لدراسة تعليم القرآن ومشكلاته.

وفي ضوء ما سبق، ينبغي عند تقديم فكرة تطويرية تعليمية، النظر هل هي تتفق مع المباحث والمسائل العلمية في علم القراءات، أم تخالفها. كما ينظر إليها من زاوية مدى خدمتها للبحث العلمي في القراءات، وإسهامها في تطويره، سواءً بإضافة علمية جديدة، أو نقد وتحقيق مسائل علمية مهمة، أو حل مشكلة تعليمية.

إن العمل بهذا الأساس أسهم في أمور منها:

- جمع عدد من القراءات حفظا أو توثيقا لها.
- تفسير أوجه أو طرق الأداء في القراءات وتحريرها وتوجيهها.
- إجراء بحوث تتناول بالدراسة جانبا علميا أو تطبيقيا من القراءات
- إضافة فروع أو مباحث أو مسائل جديدة في تعليم القراءات.
- حفظ وفهم علم القراءات بصورة أفضل وأقوى
- الاستفادة من التقنية بصناعة برامج ومواقع الكترونية متخصصة في تعليم القراءات

٦- أساس الثوابت والمتغيرات

الثوابت هي القطعيات، ومواضع الإجماع، ولا مجال فيها للتغيير أو

الإلغاء. أما المتغيرات فهي ضد ذلك، أي هي الظنيات، وما لم يحصل فيه الإجماع، وهي موضع الاجتهاد والتغيير والتعديل.

ويقصد بهذا الأساس أن هناك أمور في علم القراءات ثابتة، تقدم للطالب كما هي، ويمنع إحداث أي تغيير أو تعديل أو إلغاء فيها، مثل: رسم المصحف العثماني، وأصول قراءات القراء العشرة. وهناك أمور أخرى تتميز بالمرونة، وإمكانية تعديلها، وإلغائها، مثل: استخدام المعامل الصوتية، ونقط المصحف. فيكون الحكم على الفكرة التطويرية على أساس، هل أجاز العلماء إحداث تعديل أو تغيير فيها، أم لا.

وقد سبق بيان أن ما حدث من تطوير في تعليم القراءات في المرحلة الثانية، هو دليل على جواز تطوير تعليم القراءات، لكن لابد من ملاحظة تردد الصحابة في إحداث أي تغيير في تعليم القرآن، وعدم جرأتهم على كتاب الله، وهذا يدل على وجود ضوابط شرعية لإحداث التغيير أو التحديث.

وهذا الأساس من أشد الأسس تنازعا واختلافا وحضورا في عمليات التطوير، فمعلوم عند علماء القراءات أن الشيء القطعي المجمع عليه عند وفاة رسول الله ﷺ هو نص القرآن الكريم المكتوب في الرقاع والعظام والسعف وغيرها، وترتيب آياته، ولفظه بأحرفه السبعة. ثم تأتي العمليات التطويرية تباعا، فجمع المصحف في خلافة أبي بكر الصديق قال فيه «كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله»، وهذا النص يبين أن الجمع لم يكن قطعيا بداية الأمر، لكن إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على هذا الفعل؛ دل على أنه من الثوابت. وكذلك الحال في جمع عثمان رضي الله عنه ، مع ملاحظة أمره بإحراق المصاحف الأخرى. فجمع أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما

للمصحف؛ دليل على حرصهم على منع وقوع اختلاف أو تغيير في المصحف؛ لأنه من الثوابت لا المتغيرات، وكتابة المصحف هي عملية تطويرية، تقع ضمن التدعيم للثابت والمحافظة عليه، لا التغيير والتعديل.

ومن أوائل العمليات التطويرية في المتغيرات، ما فعله أبو الأسود في نقط المصحف، فنظر العلماء لرسم نقط المصحف على أنه متغير، يمكن فيه التعديل والإلغاء، وهذا ما حصل، فقد ألغي نقط أبي الأسود، واستبدل بتشكيل الخليل الفراهيدي.

إن تحديد الثوابت يبنى عليه معرفة الأمور المتغيرة التي يصح أن تمسها عملية التعديل والإلغاء. وقد أدرك أهمية هذه القضية علماء القراءات – قديما وحديثا-، فصنفت الكتب وحررت المسائل المتعلقة بالقراءات؛ لأجل تحديد الثوابت فلا تمسها يد التغيير والتعديل، ومعرفة المتغيرات وتطويرها بما يتناسب مع ظروف المرحلة. وقد كان أثر هذا الجهد واضحا جدا، في الوصول إلى درجة جيدة من الاتفاق في بعض قضايا ومسائل علم القراءات، فأصبح التعامل معها على أنها ثوابت لا يتعرض لها بالتغيير - رغم ما دار حولها من اختلاف -، مثل الرسم العثماني، وترتيب السور، والقراءات الشاذة. كما حددت الأمور التي تمسها يد التغيير والتطوير دائما، وعادة تكون في المناهج والأساليب والوسائط التعليمية، كأماكن التعليم، واستخدام الكمبيوتر في التعليم، واستخدام الألوان في كتابة المصحف.

فينبغي على القائم بالعملية التطويرية التعليمية أن يكون مدركا لهذه الثوابت والمتغيرات، حتى لا يقع في خطأ التغيير لما حقه الثبات، أو منع التغيير لما يسمح بتعديله وإلغائه.

ويتجلى إسهام هذا الأساس في أمور منها:

- منع إحداث عملية تغييرية في ثوابت القراءات، أو ما اعتبره العلماء من الثوابت.
- السماح بإحداث عملية تطويرية في الثوابت إذا كانت تقع ضمن التدعيم للثابت والمحافظة عليه.
- السماح بالعمليات التطويرية والتغييرية والإلغائية في جانب المتغيرات، التي غالبا ما تكون في جانب المنهاج، وكذلك الأساليب والوسائل والوسائط التعليمية.

٧- أساس المراقبة والمراجعة

عملية المراقبة والمراجعة في تعليم القراءات، تعتبر أنموذجا عمليا لعمليات الرقابة الفعالة والناجحة، فهي ليست بقصد عد الأخطاء، وإنزال العقوبة على أصحابها، بل هي من نوع المتابعة الهادفة؛ لتفادي وقوع الأخطاء، أو منع تفاقمها إذا حدثت.

وعملية مراقبة العملية التعليمية في القراءات شاملة ومستمرة، فتبدأ من اختيار الأشخاص والمنهاج والأماكن والأساليب والأدوات، ثم تتدخل في توزيع العمل والمسئوليات، ثم تأتي المتابعة والتقييم للعمل. ويهدف هذا الأساس إلى التأكد من سير تعليم القرآن سيرا صحيحا، وتحقيق أهدافه المطلوبة، والتأكد من عدم وجود حاجات - بشرية أو مادية -، أو عقبات؛ تمنع من تنفيذ التطوير المطلوب.

ومراعاة أساس المراقبة كان واضحا في المرحلة الثانية، فقد سبق ذكر

مراقبة الخلفاء والولاة والأمراء للعملية التعليمية، وقيامهم بمعالجة أي قصور أو خلل يحصل فيها. ولعل ظهور العمل بهذا الأساس في المرحلة الرابعة، أكثر اتساعا وتنظيما، فظهرت عمليات مراقبة ومراجعة لتعليم القراءات، من ناحية تشكيل لجان وهيئات علمية، مهمتها مراجعة المصاحف، وتحقيق مؤلفات علماء القراءات.

وقد لاحظنا في المراحل السابقة، أن عمليات المراقبة تهدف إلى اكتشاف العقبات والصعوبات، التي تمنع حدوث التعلم، أو تعيق تقدمه، وفي كل مرة تبتكر فكرة جديدة؛ لعلاج هذه الصعوبات، وتحصل المراقبة قبل تنفيذ الفكرة التطويرية، وأثناء التنفيذ، وأيضا بعد التنفيذ. فتتم مراجعة هذا الفكرة، ويتم دعمها بالوسيلة جديدة متطورة، فمثلا: بعد الاختلاف في قراءة القرآن، كتبت المصاحف، ثم تطورت فظهر المقياس القرائي، الضابط لعملية كتابة وقراءة المصحف. وبعد ظهور الكذب ظهر مقياس السند في القراءة، ثم تطور إلى الإجازة، للتعرف على الأهلية العلمية للطالب. ومن أمثلة الأفكار التطويرية - في المرحلة الرابعة - التي قبلت اعتمادا على أساس المراقبة؛ الاستفادة من علم الإدارة في تنظيم الجمعيات والهيئات الخاصة بتعليم القرآن.

وعليه فأي فكرة تطويرية في تعليم القراءات، لابد أن تخضع لأساس المراقبة والمراجعة أولا؛ للتأكد من جودة الفكرة وتوافقها مع باقي الأسس، ثم التأكد من صحة تنفيذها –ثانيا–، مع معرفة ما توجهه من مشكلات، وأخيرا يتم تقييمها بالنظر إلى نتائجها، وإعادة النظر في بقائها أو إلغائها أو تعديلها.

ولقد أسهم العمل بهذا الأساس في أمور منها:

- تفادي الوقوع في الأخطاء، أو التقليل منها، أو منع تفاقمها عند الحدوث.
- اكتشاف العقبات والصعوبات التي تواجه العملية التعليمية وتعيق تقدمها.
- مراجعة الجهود العلمية والتطبيقية السابقة، وإبراز ما فيها من جوانب قوة وضعف.
- متابعة عمليات التطوير والتجديد فلا تخرج عن مسارها الصحيح وغايتها الأساسية.
- وضع ضوابط ومعايير علمية تحكم عمليات تطوير تعليم القراءات
- الرجوع إلى أهل العلم والتخصص لإقرار الفكرة التطويرية ومراجعتها.
- إعادة النظر في بعض الأفكار التطويرية، من حيث بقائها أو إلغائها أو تعديلها

وفي ختام هذه الدراسة لعل من المناسب إيضاح مسيرة الفكرة التطويرية في تعليم القراءات بين المراحل والعوامل والأسس، في الشكل التالي (شكل ١).

هذه الدورة تظهر أن كل مرحلة تاريخية جديدة، تدفع بعوامل مؤثرة جديدة، تدعو لإحداث تطوير تعليمي، تنبع منه فكرة تطويرية، تعرض على الأسس التطويرية، لتحدد قبولها أو رفضها، وفي حالة القبول، تضاف هذه الفكرة إلى التطور التعليمي للمرحلة التاريخية، ثم تعود المرحلة لتدفع بعوامل جديدة...

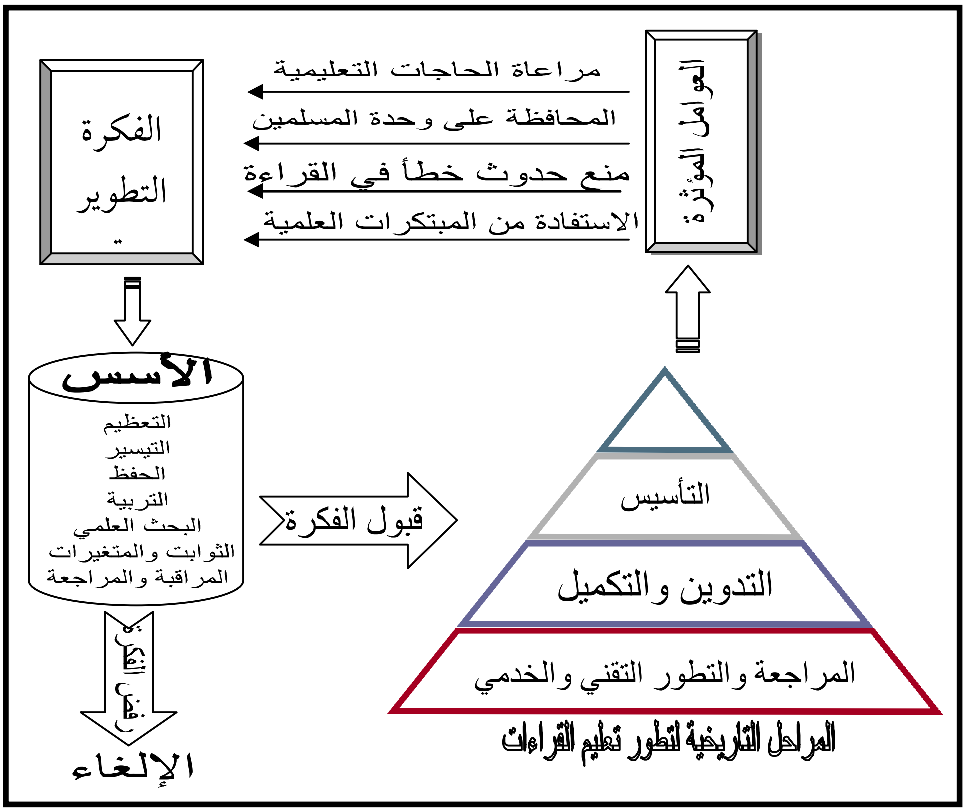

الشكل (١): دورة الفكرة التطويرية في تعليم القراءات

الخاتمة:

وبعد هذا الاستعراض لمراحل تطور تعليم القراءات والعوامل المؤثرة فيه، واستنباط أسس تطوير تعليم القراءات، تسجل الدراسة أهم النتائج التي توصلت لها:

١- أكدت الدراسة أن العملية التعليمية في الإسلام مستمرة ومتطورة ومرنة، ذات أسس ومبادئ توجه مسيرتها وتحكم عملياتها.

٢- أثبتت الدراسة آن العملية التعليمية في القراءات، ليست عملية ارتجالية، بل تقوم على أسس ضابطة لعمليات التطوير، فتحدد الأفكار التطويرية المقبولة؛ فتدخل في الميدان التعليمي، كما تمنع الأفكار المخالفة من التسلل للحقل التعليمي.

٣- أظهرت الدراسة أن المرحلة الأولى والثانية كان محور العمل فيها على الأصول والمبادئ العلمية للقراءات، بينما المرحلة الثالثة والرابعة كان مجال التطور في الأساليب والآليات التعليمية.

٤- بينت الدراسة أن العملية التعليمية في علم القراءات تستجيب للتغير الزماني والمكاني والحاجي والتقني، فقد لاحظنا أنها كانت تتغير مع العصر، وتختلف من بلد لآخر، وتراعي حاجات وقدرات المستهدفين، وتستفيد من العلوم والوسائل المباحة.

كما توصي الدراسة المتخصصين والباحثين والعاملين في مجال تعليم القراءات بما يلي:

١- وضع معايير ومؤشرات علمية، مبنية على الأسس السابقة؛ لتكون مرجعا للحكم على عمليات التطوير والتحديث من حيث قبولها أو رفضها أو توجيهها.

٢- العناية بالمدارس والمعاهد والكليات المتخصصة في تعليم القراءات، وإمدادها بما تحتاجه من دعم مالي وعلمي، يسهم في تنفيذ برامج تعليمية متكاملة، تستفيد من احدث من توصلت له العلوم خاصة العلوم التربوية والعلوم التقنية.

٣- عمل دراسات ميدانية تستكشف حاجات ومشكلات المتعلم في القراءات القرآنية، وتسعى لحلها بطرق إبداعية.

٤- تخصيص جوائز ومكافآت لتحفيز عمليات الإبداع والابتكار، واستثمار التكنولوجيا في تعليم القراءات، وعمليات الاستفادة من العلوم الأخرى في تعليم القراءات.

وختاما هذا ما تيسر جمعه وإعداده، فما كان فيه من جدة وإجادة فبتوفيق من الله، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله الكريم أن يغفر الزلل، ويتقبل العمل. والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى اللهم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا.

قائمة المراجع والمصادر

القرآن الكريم

ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، المحكم في نقط المصحف، دار الفكر المعاصر،بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، تحقيق عزة حسن، ١٤١٨هـ

أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ

إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الخير، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ

حسن شحاتة، وزينب النجار، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ

دخيل بن عبد الله الدخيل، إقراء القرآن الكريم منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه، الناشر مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الشاطبي، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

السيد رزق الطويل، في علوم القراءات مدخل دراسة وتحقيق، المكتبة الفيصلية، مكة، ١٤٠٥هـ.

عامر إبراهيم قنديلجي، البحث العلمي دليل الطالب في الكتابة والمكتبة والبحث، مطبعة عصام، بغداد، ١٩٧٩م

ماجد عرسان الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، دار ابن

كثير، دمشق، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ

محمد المختار ولد أباه، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو-، ١٤٢٢هـ

محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية، رتبه: حسان عبد المنان، ٢٠٠٤م

محمد بن أحمد الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دون مطبعة، تحقيق طيار آلتي قولاج، استانبول، ١٤١٦هـ.

محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ

محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ

محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، (د.ت)

محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ

محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، راجعه: علي الضباع، (د.ت)

محمد بن محمد بن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، مكتبة القدسي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الجيل، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)

محمد جميل بن علي خياط، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مركز البحوث التربوية والنفسية، مطابع جامعة ام القرى، مكة، ١٤١٦هـ

محمد راكان الدغيمي، أساليب البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية، مكتبة الرسالة، عمان، الأردن، ١٤١٧هـ

محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت)

مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ

المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم تحت عنوان:جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، المنعقد في ١٠-١٢، جمادى الأول ١٤٣٢هـ، فاس، المغرب

نبيل محمد آل إسماعيل، علم القراءات نشأته- أطواره- أثره في العلوم الشرعية، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center for Qur'anic Studies

جامعة الملك سعود
King Saud University

كرسي القرآن الكريم وعلومه
Chair of Qur'anic Sciences